صدر قديماً

تختص زاوية «صدر قديماً» بتقديم قراءات في كتب عربية مرّت عقود على إصدارها وما زالت تنبض براهنية تستدعي قراءتها واستعادة اصحابها. هنا عودة إلى كتاب صدر في تونس بعد أشهر من «النكبة الفلسطينية» وفيه يجتهد مؤلفه في تفسير أسبابها واستشراف فرص الخروج منها

عبد اللطيف الحناشي

كان لهزيمة العرب (النكبة) أمام العصابات الصهيونية الغازية لأرض فلسطين سنة 1948 وتأسيس الدولة الصهيونية بموافقة ومباركة الأمم المتحدة وما ترتّب على ذلك من تشريد وترحيل لآف الفلسطينيين، الأثر الكبير في نفوس العرب جميعاً ومنهم التونسيون. وقد انبرت الكثير من الأقلام العربية لتحليل مختلف الأسباب التي أدّت إلى تلك «النكبة» ومن ثم قيام الدولة الصهيونية. ومن بين أهم ما كتب في هذا المجال مؤلّف المؤرّخ والمفكر قسطنطين زريق (1909-2000) «معنى النكبة». ولم يتخلّف الكتّاب التونسيون بدورهم عن المساهمة في متابعة الحدث وتحليل خلفيات النكبة بكل أبعادها. ومنها مساهمة الصحافي والكاتب التونسي أحمد بن مصطفى، التي جاءت في كتاب مستقل أصدره باللغة الفرنسية في يونيو/ حزيران 1949 تحت عنوان: Pourquoi les Arabes n›ont pas vaincu Israël (لماذا لم ينتصر العرب على إسرائيل؟).

أحمد بن مصطفى منظور تونسي لما حدث في فلسطين

سؤال النكبة في بواكيره

لاجئة فلسطينية في مخيّم بلاطة قرب نابلس تعرض وثائق ملكية بيت عائلتها الذي احتله عام 1948 (Getty)

يعتبر هذا العمل من أهم المساهمات التونسية والعربية في محاولة فهم أسباب الهزيمة، لما تضمّنه الكتاب، على صغر حجمه، من معطيات وتحليلات دقيقة وعميقة، كما لم يقتصر الكاتب على إبراز العوامل الخارجية (المؤامرات كما بيّن الكثير من الكتّاب من جيله)، بل غاص عميقاً في تحليل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والذهنيات السائدة التي اعتبرها الكاتب من الأسباب العميقة لهزيمة العرب وانتصار الحركة الصهيونية كما تميّز الكتاب بتحديد مجموعة من البدائل «العملية» التي قد تساعد العرب على تجاوز نكبتهم.

صدر هذا الكتاب عن منشورات La Jeune Tunisie وتميّز بدقة المعطيات وعمق التحليل. وقد تضمّن مقدمة وثلاثة «فصول» متفاوتة الحجم وهي: «حرب عادلة؟: هل للصهيونيين الحق في دولة بفلسطين، الجرائم، صنيعة الإمبريالية»، و«الانتصار لا يأتي: الأسباب الموضوعية، الأسباب الذاتية»، و«حلّ وحيد: البدائل لتجاوز النكبة».

يبدأ بن مصطفى في مقدمة عمله بطرح استنتاجات مركّزة، مستشرفاً مستقبل المنطقة على خلفية تأسيس الدولة الصهيونية، ومؤكّداً أنّ حرب فلسطين قد وضعت مستقبل «الشرق الأوسط» كله في الميزان ومبيّناً أنّ الصهاينة كما الإمبرياليين؛ السوفييتية والأميركية، سيمهّدون لعصر الهيمنة على الدول العربية، ويشير إلى أنّ المرحلة الأولى من هذه الهيمنة كانت دامية، أما المرحلة الثانية فستكتسي طابعاً سلمياً يتمثل في التسرّب الاقتصادي والأيديولوجي في المنطقة، إلى أن يصل التسرّب ذاك إلى حدّه الأقصى، لتعرف المنطقة بعد ذلك مرحلة العدوان الصهيوني المسلح مجدّداً، عندما سيجد العرب أنفسهم في وضعية دنيا تدفعهم ربما للتخلّي عن الصراع إذا لم يسرعوا في إصلاح أخطائهم وتجاوز ضعفهم واستخلاص الدروس من «أخطائهم الإجرامية». لم تكن تلك الأفكار «نبوّة» بل نظرة استشرافية لمستقبل المنطقة استناداً إلى معرفة دقيقة بالحركة الصهيونية وبطبيعتها العدوانية وعلاقاتها الدولية، الأمر الذي أكّدته الأحداث اللاحقة، إذ لم تعرف منطقة «الشرق الأوسط» منذ تأسيس «إسرائيل» الأمن والسلام فتتالت الحروب والأعمال العدوانية الإسرائيلية، سواء على البلدان العربية المحيطة بفلسطين أو على الشعب الفلسطيني ذاته (العدوان الثلاثي 1956، حرب 1967، حرب الاستنزاف 1970، حرب أكتوبر 1973، غزو جنوب لبنان 1978، احتلال بيروت والجنوب اللبناني 1982، وصولاً إلى العدوان على لبنان في صيف 2006 ومحرقة غزة المتواصلة...).

في الفصل الأول، يناقش الكاتب ويحلّل إشكالية تاريخية وسياسية رئيسية وهي: هل للصهاينة الحق في إقامة دولة في فلسطين؟ ولمعالجة ذلك لا يهتم الكاتب بالتاريخ القديم، إذ يقول إن لا فائدة من الرجوع إلى المعطيات الإثنية أو الدينية بل يكتفي بتناول المسألة من خلال فرضيتين مختلفتين تمثلان في الوقت ذاته فائدة مزدوجة: نظرية وتطبيقية تسمحان، بحسب رأيه، بالوصول إلى أجوبة متماثلة ومتّسقة ولا يبقى في هذه الحالة غير البحث عن أي من الفرضيتين تنطبق على الحالة الفلسطينية.

تتمثل الفرضية الأولى في ما يلي: هل يمكن لشعب أقام في دولة، بفضل المعونات والتشجيعات المختلفة المقدمة له من قبل الإمبريالية ومن خلال إرهاق شعب آخر واضطهاده، أن يدعي السيادة على تلك الأرض أو الادعاء بشرعية سيطرته على أملاك السكان التي تم الاستحواذ عليها من خلال وسائل وقوانين مفروضة بالرغم من إرادة أغلبية السكان؟ أما الفرضية الثانية التي طرحها الكاتب فهي: هل لأقلية «وطنية» أو إثنية أو دينية أو غيرها، أقامت في بلد ولم تتعرّض خلال وجودها لأيّ نوع من الاضطهاد أو الضغوط ولم تتخذ ضدّها أي إجراءات أو أحكام اعتباطية، الحق (إن سمحت لها الجغرافيا) بالانفصال عن أكثرية السكان وتكوين دولة مستقلة؟

وانطلاقاً من الفرضيتين السابقتين، ينطلق الكاتب في بحث الأسس التي تكوّن الأمم ويقدّم العديد من الأمثلة من التاريخ الحديث والمعاصر نافياً على اليهود أن يكونوا أمة بحسب المفهوم الدقيق لـ أمة، ويؤكد أنّ هؤلاء ينتمون إلى كلّ القوميات وأنّ لكلّ جماعة منهم خصائص سوسيولوجية ودينية وسياسية تختلف عن الأخرى تبعاً للبلد الذي يستقرّون فيه وهو وطنهم. ثم يتساءل الكاتب عن هدف الصهيونية: هل هو تأسيس دولة عرقية؟ مؤكداً أنّ الاضطهاد الذي تعرّض له اليهود لا يمكن أن يمثل إلا حُجة سيئة لتبرير إقامة دولة يهودية في فلسطين، إذ إنّ هذه الأخيرة لن تتمكن من وضع حدّ لما يتعرّض له اليهود في العالم.

يرى أنّ اضطهاد اليهود حجة سيئة لتبرير احتلال فلسطين

يتساءل: هل يعجز العرب عن تحطيم الحدود الاستعمارية

ويقول الكاتب إنّ من المنطقي أن تقوم كلّ من الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفييتي بتعويض اليهود عما حدث لهم من قبل ألمانيا وغيرها من الدول ومنع تجدّد اضطهادهم، وذلك من خلال إعطائهم حقوق المواطنة كاملة بل حتى منحهم «ملجأ» على أراضيهما، خصوصاً أنّ مساحة الدولتين تغطي أكثر من ثلث أراضي الكرة الأرضية، غير أنّ الكاتب يستدرك القول بالتأكيد أنّ مصلحة الدولتين تدفع إلى تشجيع قيام الدولة الصهيونية في فلسطين.

(أكاديمي وباحث تونسي في التاريخ السياسي المعاصر)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

مشروع ترجمة

بقي كتاب «لماذا لم ينتصر العرب على إسرائيل؟» لأحمد بن مصطفى طيّ النسيان لعقود، ويشتغل اليوم أستاذ التاريخ السياسي المعاصر في جامعة منوبة/ تونس، عبد اللطيف الحناشي، على ترجمته، وهو مشروع غير بعيد عن عمل سابق له بعنوان «تطوّر الخطاب السياسي في تونس إزاء القضية الفلسطينية 1920 - 1955» (صدر عن «المطبعة الرسمية في تونس 2006»، ثم عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» في 2016).

إطلالة

يحتاج شِعرُها إلى كلام آخر

عناية جابر الزمالة الظالمة

يحتاج شعر عناية إلى كلام آخر، لكن الزمالة الظالمة تطغى أيضاً على الفراق الأخير، الذي لا قِبَل له بهذا الزمن المحطم الذي هو زماننا اليوم

عباس بيضون

كنتُ التقي عناية جابر كلّ صباح. لكنّ هذا الكلام هو عن تزاملنا في جريدة «السفير». أعرف عناية بالتأكيد قبل ذلك، وهي من ذلك الحين حيّرتني. كانت في أول بدوها بالشعر والتقيتُ شاعراً محترفاً وشاعرة ناشئة. كانت عناية يومها من دون سابقة في الشعر، وأكبر سنّاً من أن تكون مبتدئة. لم أنتظر الكثير منها، حسبتُ أنّ القصّة ستقف هنا، وستعيد هكذا قصصاً مشابهاً. لا نعجب من أن يهبّ واحد بالشعر، بل نعجب إذا لم يفعل. كثيرون يطمحون للكتابة واغلبهم يبدأون بالشعر. تحت جلد كلّ من هؤلاء شاعر حقيقي أو مزعوم، وفي الغالب لا يصبر طويلاً على محاولته. من بدايات عناية لم أجد أنّ الأمر سيكون مختلفاً هذه المرّة. كانت بداية ككلّ البدايات، حسبتُ أنّ النهاية ستكون أيضاً ككلّ النهايات، لكنّ الأمر لم يكن كذلك. أشعار عناية المبتدئة لم تلبث، وبسرعة، أن وجدت أسلوباً. غدا لعناية، في وقت قصير، أسلوب، غدت لها قصيدة.

كان في هذا ما يدل على أنها خرجت، بسرعة، من ابتدائها، بل إنها حتى، في تلك الأونة، كانت تختزن ما يتجاوز هذا الابتداء. كانت بالتأكيد تبني على ما هو أعمق، وأكثر كثافة، وأكثر انتظاماً. لم يطل تخبّطها في هذا الخزين، ولم يطل تشتّتها في ركامه. سرعان ما خرجت من هذا الركام، وسرعان ما سوّته وشفّفته وأوجدت له إيقاعات وغناءً خاصاً. سرعان ما وجدت جملة لها وموسيقى وصوتاً وبناءً. لقد كانت هذه مفاجآتها التي لم تصدمني، إذ كانت صريحة ووازنة، مثلها مثل محيا عناية ومثل رفقتها التي صارت شبه يومية، منذ تزاملنا أنا وإياها في جريدة «السفير» وفي قسمها الثقافي. لقد صرنا معاً شاعرين وزميلين.

لربما كانت هذه الزمالة ظالمة أحياناً، إذ إنّها، أحياناً كثيرة، تغدو مكتفية بذاتها، أو تبدو كافية ونهائية، فلا تتطلّب أيّ زيادة وأيّ إضافة. كانّ الزمالة، التي يصعب تعريفها دائماً، تختصر الأشياء جميعها، فهي قد تكون صداقة أو لا تكون، وهي قد تكون اعترافاً بالآخر أو لا تكون. هكذا تكاد الزمالة تبتلع كلّ ما يشبهها أو يمتّ إليها، من دون أن تعنيه بالضرورة. إنّها تُغني عنه لكنّها لا تستوعبه دائماً ولا تقوله، وإن بدا أنّها تضمره ولا تحتاج إلى أن تصرّح بذلك أو تعلنه. هكذا لا نُنتبه إلى أنّ الوقت يمضي، ونحن في هذه المراوحة. لا ننتبه إلى أنّ ما لم نفهم أنّه فاتنا قد فاتنا حقّاً، أو نحن فوّتناه، وتركناه يتأخّر وينزوي من دون أن نشعر بما في ذلك من خسارة، وبما فيه من تلكؤ، وربما من ظلم قد يكون أحياناً يشبه الغدر أو يشبه في أفضل الأحوال الإهمال.

هكذا ينتهي لي نعي عناية التي منذ غادرتنا، ولم يلبث أن غادرنا جميعاً، مكان الملتقى والزمالة. لقد استمرّت الزمالة، على نحو ما، نحو خاسر وبليد. استمرّت بعدما انتهت الرفقة وانتهت الصحبة، وافترقنا كلٌّ إلى طريق وإلى محل وإلى بيئة. مضت السنوات وافترقنا تماماً، إذ لم أعرف إلّا القليل القليل عن عناية في هذا الوقت، وأحسب أنّ هذا كان شأنها على ذلك كله، إذ إنّها كانت، في حقيقة الأمر، انقطاعاً وكسلاً. كانت نوعاً من حساب نهائي مع شيء لم نحسب له في الواقع حساباً. كنتُ في السابق أقرأ أشعار عناية ديواناً بعد ديوان، لكن خلال سنوات الانفصال لم أعرف شيئاً عن مجموعاتها الشعرية، ولا أعرف إذا اعتنت هي بمجموعاتي. كأنّنا كنّا اكتفينا، بعضنا من بعض، كما لو أنّنا اكتفينا من ماضٍ ودّعناه ولم نعد نلتفت إليه.

هكذا يأتيني نعي عناية صادماً، إذ يضعني أمام هذا الفراغ الذي هو عمر افتراق. انتبهت إلى أنّ ما فعلته كان طيّ صفحة، لم تطوَ فعلاً. انتبه وأنا أفكّر في عناية الشاعرة، إلى أنّني لم أقل كلمة في شعرها. كم كانت الزمالة لذلك نوعاً من الاغتراب، كم كانت اسماً غامضاً لتفويت الأشياء. نعم، لم أقل كلمة في شعر عناية الذي طالما رأيته يرصد للشعر لحظات من الحياة. يفردها ويتعامل معها كمفارقة وكإيقاع وكلمح مزدوج. كلحظة تجعل من القصيدة أثر قصة اختفت في الزمن، أو تحوّلت إلى زمان. لم أقل شيئاً في شعر كان يبدو أنّه، في بوارقه الخاطفة، يبني واقعاً خاصاً، يبني غناءً يحيد عن الواقع لكنّه يبقى إزاءه ومقابله.

يحتاج شعر عناية إلى كلام آخر، لكنّ الزمالة الظالمة تطغى أيضاً على الفراق الأخير، الذي لا قِبَل له بهذا الزمن المحطم الذي هو زماننا اليوم.

(شاعر وروائي من لبنان)

غدا لعناية في وقت قصير أسلوب، غدت لها قصيدة

عناية جابر في بورتريه لـ أنس عوض (العربي الجديد)

نصوص

دخل الحديقة لكي يشاهد مرّة أخرى ولادة الغروب والبرتقال

كفارسٍ ضاع في غابة السديم

حمزة كوتي

سبع نجوم على جلد الليل. سبع سنابل في حقل الروح. سبع سنين من جفاف العمر. سبعة قبور تطير جافية. سبع ستائر يختفي خلفها واحدٌ من أسرار البحر.

■■■

على الصليب
الوردة والأفعى
على ذلك العمود الرومي
الذي صُلب عليه
ملكٌ من ملوك الغجر.

■■■

السماء حجارةٌ
من كيف ومتى.

■■■

والملاك قد يكون حمامة
أو يكون رسالة الحُسن.

■■■

الرحم تضمّ الكون
في كلّ ولادة
يتجدّد الكون.

■■■

من درجات السماء
ينزل البيان والطائر
تنزل منها
النحل والشفقة.

■■■

متى ساصل
إلى نقطة الأزل
لأكون فيها الجنين الزهرة
أو حلماً
من أحلام جورية الحب.

■■■

دخلت مدن الرؤيا
كانت ضبابية ووحيدة
مدن لا يوجد فيها
سوى السلام
كحديقة مُدَمّرة.

■■■

لمّا تصل هذه الرسائل
إلى منزل أو شاطئ
لمّا أجد ليلاً نائماً
كالسرّ في أعين الأزهار.

■■■

تلك الغمزة التي أتت حارقة
من المرأة
تلك هي الطريق
إلى الروح.

■■■

كثيراً ما تبدأ العبارة
بالصّلب والأرجوان
كثيراً ما تجد السفينة
طافيةً والنوارس
قصصاً من الوحي.

■■■

سترى الأرضَ
فهرسَ الولادة
النبات
الجماد
الإنسان
قد يكون القمر
صحوة الغمز والرمز
قرب الثمرة.

■■■

المرأة مقدّمةٌ
للأحلام واليقظة
في البحر
الينابيع، الروح.

■■■

تطلق المرأة مناديل
في فضاءِ من الغجر
السائرين
نحو حياة الفواكه
والجواهر.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

عبد الرحمن السليمان، زيت على قماش، 1981

فعاليات

تنظّم «المدرسة العليا للفنون» في لورين (شمال شرق فرنسا) محاضرة يلقيها مصمّم العروض الكوريغرافية **فولمير كولديرو** عبر تطبيق زووم بداية من السادسة من مساء يوم غد. بحسب تقديم المحاضرة، يتناول كولديرو كيفية تصميم اللوحات الكوريغرافية من خلال مفاهيم مثل: الارتجال، الهامشية، والتدفّق الإبداعي.

وثائق من تراث الأسرة الخديوية عنوان المحاضرة التي تلقيها الباحثة المصرية **ريهام عرام** افتراضياً عند السابعة من مساء السبت المقبل، حول كتاب الذي يحمل العنوان ذاته. يتناول العمل مجموعة من أصول المراسلات والمخاطبات والملفات الورقية المدوّنة بخط اليد والخاصة بالمعاملات الرسمية اليومية، او الاجتماعية خلال القرن التاسع عشر، تخصّ شخصيات في الدولة المصرية.

تنظّم «آركي نت»، عند السابعة من مساء السبت المقبل، لقاءً افتراضياً مع المعماري الاميركي المصري **طارق نجا** للحديث عن بداياته وممارسته وفكره المعماريين. يزاوج نجا بين التصميم الذي نفّذه لعدة مشاريع؛ منها إعادة تصميم منطقة الهرم وابي الهول والمتحف المصري الجديد، الى جانب مقالاته حول الفراغات الهندسية.

يُفتتح، عند السادسة من مساء بعد غدٍ الخميس، في «المتحف الفلسطيني» ببيرزيت معرض افتراضي بعنوان **مستقبل المتاحف: إعادة التّخيُّل والتّعافي**. يضمُّ المعرض أعمالاً حول إعادة تَخيُّل المتحف قدّم خلالها فنانون تصوّراتهم وتأويلاتهم لهُ وتخيُّلاتهم حول مجموعاته ومعارضه بوسائط وأساليب متنوّعة.